

المحاضرة الخامسة ج 2 :

أنواع الشخصية في الرواية

تمهيد:

الشخصية الروائية بتعدد المذاهب والأيدولوجيات والتصورات والثقافات، ويسخر الكاتب الشخصية لإنجاز الحدث فتخضع بذلك لقواعد صارمة، وتقنيات إجرائية من طرفه، وفقا لتصوراته وأفكاره، لذلك نجد أنها تختلف وتتنوع من رواية إلى أخرى حسب ظهورها من جهة وحسب دورها، ووظائفها من جهة أخرى، وتركيبية الشخصية في حد ذاتها في علاقتها بالأحداث

1- أنواع الشخصية في أحداث الرواية:

تتنوع الشخصية الروائية بحسب أطوارها عبر العمل الروائي، وهناك ضروب من الشخصيات؛ فجد الشخصية المركزية والثانوية، والشخصية المدورة والمسطحة والإيجابية والسلبية والثابتة والنامية.

أ الشخصية الرئيسية:

ويقود الحديث عن الشخصية الرئيسية إلى مسألة "البطل في الرواية"، ففي كل قصة شخص أو أشخاص يقومون بدور رئيسي فيها إلى جانب أشخاص ذوي أدوار ثانوية، على أنها "الشخصية الفنية التي يصطفيها القاصّ لتمثل ما أراد تصورها وأو ما أراد التعبير عنه من أفكار أو أحاسيس، وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي وحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي. وتكون هذه الشخصية ذات فاعلية كما منحها القاص حرية، وجعلها تتحرك وتنمو وقف قدراتها واراتها، بينما يختفي هو بعيداً يراقب صراعاها، وانتظارها واخفاها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي الذي رمي بما فيها، وأبرز وظيفة تقوم بها هذه الشخصية هي تجسيد معنى الحدث القصصي، لذلك فهي صعبة البناء وطريقها محفوف بالمخاطر".¹

وقد كان من المؤلف في القصة أن يقوم شخص بدور البطولة في أحداثها، وينال من الكاتب عناية كبرى، وقد يعبر عن طبقة معينة، أو اتجاه إيجابي أو سلبي، ويصور الروائي هذا البطل وهو يتفاعل مع الواقع ويتحداه، مع إدراكه بمحدودية محاولته أو صعوبتها، أو عدم فوزه في النهاية. كشخصية مصطفى سعيد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح. وهي على العموم " تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية بطل العمر دائما ولكنها هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"²

والروايات الحديثة - عموما- تهمل فكرة البطل، وتهتم بتصوير الوعي الاجتماعي لمجموعة من الأفراد ممثلة لاتجاه خاص في المجتمع، وتنزع نحو الواقع الاجتماعي، وتصوير الوعي

¹ شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص46،45

² عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى التحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 3، 2000، ص 135.

الإنساني، مع تعميق هذا الوعي بالطرق النفسية والفلسفية التي عنيت بها القصة كشخصيات نجيب محفوظ في رواياته الذهنية منها اللص و الكلاب.

ب الشخصية النموذجية:

وهي الشخصية التي يرسمها الروائي بوصفها ممثلة لجيل أو طبقة أو فئة أو مجتمع، وتبرز فيها اتجاهات ما يمثله وسماته المميزة، وتمتاز عن الشخصية العادية بأنها تختزل سجايا الطبقة أو الفئة التي تمثلها، فهي تظهر " أمام أعيننا نفسها أشد قضايا العصر تجديداً وكأنها قضايا فردية خاصة وكأنها مسألة حياة أو موت".³

ويهدف الروائي منها إلى بيان رؤيته نحو الفئة المستهدفة التي تختزل سماتها في هذه الشخصية، كشخصيات رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني وهم شخصيات يمثلون ثلاثة نماذج من المجتمع الفلسطيني جيل المراهقة وجيل الشباب وجيل الكهولة.

ج الشخصية الثانوية:

ومن حيث الادوار هناك شخصيات أخرى إلى جانب الشخصية الرئيسية وهي الشخصيات الثانوية، لا بد أن يقوم بينها جميعا رباط يوحد اتجاه القصة، ويتضافر على ثمار حركتها، وعلى دعم الفكرة أو الأفكار فيها، وذلك بتلاقي الشخصيات في حركتها نحو مصائرهما، وتجاه الموقف العام في القصة، ولا تكون الشخصيات الثانوية أقل حيوية وعناية من الروائي، فهي كثيرا ما تحمل آراء المؤلف.

كما يمكن اضافة أنواع اخرى من الشخصيات حسب متن الرواية؛ كشخصيات عجائبية من عالم الانسان أو الحيوان أو الجن، وشخصيات ذات مرجعية تاريخية أو أدبية ... وهذه ايضا تقسم إلى الرئيسية و الثانوية والعبارة، ولهذا النوع من الشخصيات دور كبير في تصعيد ونمو الحدث فهي أقل أهمية من الشخصية الرئيسية في أداء دورها، " على الشخصية المساعدة أن تشارك في نمو الحدث ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية رغم أنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانا في الشخصية الرئيسية"⁴

وتكون وظيفة الشخصيات الأخرى التي تلتقيها أو تصادفها إبراز التحولات النفسية والذهنية التي مرت بهذه الشخصية، وهذا لا يعني أن الشخصيات الأخرى بلا فاعلية، فقد تكون الشخصية الفاعلة هامشية، وهي التي تحرك الأحداث والشخصية المحورية، أو الرئيسية هي التي تدفعها للعمل؛ بحيث لا يمكن الاستغناء عن أي شخصية؛ لأنها تتفاعل مع بعضها بعض من أجل أن يكتمل البناء الدلالي العام للمتن الروائي.

د الشخصية المدورة:

³ جورج لوكتاش، دراسة في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ب، ط3، 1985م-1405هـ،

ص30

⁴ شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص46.

من أهم أنواع الشخصية في العمل الروائي، ويسمىها بعض النقاد "الشخصية المكثفة" أو "النامية"، وهي الشخصية المركبة والمعقدة التي لا تستقر على حال، ولا يستطيع القارئ أن يعرف مسبقا ما سيؤول إليه أمرها؛ لأنها متغيرة الأحوال، ومتبدلة الأطوار، فهي في كل موقف على شأن، وهي الشخصية المتطورة والمتحركة وغير ثابتة: "التي تتطور من موقف إلى موقف بحسب تطور الأحداث ولا يكتمل تكوينها حتى تكتمل القصة، بحيث تكشف ملامحها شيئا فشيئا خلال الرواية أو السرد، أو الصف وتتطور تدريجيا خلال تطور القصة وتؤثر الأحداث فيها أو الظروف الاجتماعية".⁵

وهي المغامرة الشجاعة المعقدة، التي تؤثر في من سواها وتتأثر بهم أيضا، ويجمع كثير من النقاد على أنها تتكشف للقارئ بالتدرج، وتنمو وتتطور، والمعيار الحقيقي للحكم على نموها هو قدرتها على الإدهاش والإقناع، وهي غالبا ما تكون الأداة التي تتمثل فيها رؤية الروائي لها، وللكتاب في تصوير الشخصيات النامية طريقتان: الأولى: أن يكون الشخص في القصة متكافئا مع نفسه، أي منطقيا في صفاته، بحيث يمكن تفسيرها كلها بالحالة النفسية والموقف، ولا يكون فيها تناقض غير مفهوم. الثانية: يحرص فيها الكاتب على ألا يكون الشخص منطقيا مع نفسه في سلوكه، ويبلغ التصوير النفسي أقصى درجات التعقيد بحيث يتعذر الحكم على الشخصيات، بإخضاع دوافعهم النفسية لمنطق معين.

وقد اتجه الكتاب الحديثون نحو تفعيل عنصر المفاجأة في سلوك الشخصيات، وهو جانب مهم في الصراع والتفاعل، وتكتسب فيه الشخصيات حيويتها، "فهي التي تكشف لنا تدريجيا وتتطور بتطور حوادثها ويكون تطورها ظاهرا أو خفيا وقد ينتهي بالغبلة أو بالإخفاق والمحك الذي تتميز به الشخصية النامية هو قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة فإذا لم تفاجئنا بعمل جديد فمعنى ذلك أنها شخصيات مسطحة تسعى لأن تكون نامية"⁶؛ لذلك يتحاشى الكاتب التفسير والتعليل، والكشف عن جوانبها النفسية التي تتحكم في سلوكها.

ه الشخصية المسطحة:

فهي الشخصية التي تبقى ثابتة الصفات طيلة الرواية، لا تنمو ولا تتطور بتغير العلائق البشرية أو بنمو الصراع؛ الذي هو أساس الرواية، إذ تبقى ثابتة في جوهرها، و"هي الشخصيات الثابتة التي تبقى على حالها من بداية القصة إلى نهايتها فلا تتطور حيث تولد مكتملة على الورق لا تغير الأحداث طبائعها أو ملامحها ولا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصية، وهي تقام عادة حول فكرة أو صفة كالجشع وحب المال التي تبلغ حد البخل أو الأنانية المفرطة"⁷.

⁵ شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص46.

⁶ نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني لدراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان ط1، 2009، ص45.

⁷ شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص46.

وقد تبني هذه الشخصية على سجية واحدة، أو حول فكرة واحدة، أو تصور بشكل كاريكاتوري مضخم، ويمكن توضيحها بجملة واحدة، ويعوزها عنصر المفاجأة، إذ من السهل معرفة نواحيها إزاء الشخصيات والأحداث الأخرى، وهذا النوع من الشخصيات أيسر تصويراً وأضعف فناً لأن تفاعلها مع الأحداث قائم على أساس بسيط، لا تكشف به كثيراً عن الأعماق النفسية والنواحي الاجتماعية.

وهي مفيدة للكاتب الروائي؛ لأنه يلتقطها من الحياة ويرسمها بلمسة واحدة ولا تحتاج منه إلى كبير عناء في ذلك، ويجد القارئ فيها فائدة لأنها تذكره ببعض معارفه، فهي تتبدل نتيجة الظروف، وتتحرك من خلال الظروف التي تمنحها صفة استعادة حوادث الماضي. وتستخدم الشخصية المسطحة لإلقاء الضوء على الشخصية الرئيسية أو البطل عن طريق إبراز تطوره وتفاعله الدينامي مع الحياة، في مقابل ثبات الشخصية المسطحة، أو لتساعد البطل على كشف آرائه وآماله للشخص الثانوي، وقد يلجأ الكاتب لاستخدامها كي يخلق لدى القارئ إحساساً بتنوع الشخصيات أو ليعبر بواسطتها عن رؤية معينة في الحياة.

و الشخصية المعارضة:

يوجد في العمل الروائي شخصية معارضة تقف في وجه الرئيسة وجاء تعريفها على النحو الآتي "وهي شخصية تمثل القوى المعارضة في النص القصصي وتقف في طريق الشخصية الرئيسة أو الشخصية المساعدة، وتحاول قدر جهدها عرقلة مساعيها، وتعد أيضاً شخصية قوية ذات فعالية في القصة وهي بنية حدثها الذي يعظم شأنه كلما أشد الصراع بين الشخصية الرئيسية، والقوى المعارضة، وتظهر هنا قدرة الكاتب الفنية في الوصف وتصوير المشاهد التي تمثل هذا الصراع"⁸

ز الشخصية العابرة الهامشية:

إلى جانب الأنواع التي تم ذكرها تظهر لنا الشخصية العابرة وهي غير فاعلة سواء في المجتمع أو في الأعمال الفنية فهي تأتي لسد فراغ ما أي يختفي"⁹، وهي شخصيات تظهر عديمة الفائدة والأهمية وكذلك قليلة الظهور وسرعان ما تتلاشى وتصبح شبه غائبة أو غائبة تماماً فهي شبيهة بالسراب يحتاجها الروائي في دفع حركة الأحداث أو يذكرها للاستشهاد من موقف سابق فتظهر مرة أو مرتين إما في الحدث أو في مقطع استرجاعي، لكنه أي ظهور لأي شخصية له دوره وأهميته التي تختلف من شخصية إلى أخرى حسب الأدوار.

خلاصة القول أن الشخصيات في العمل الروائي تتعدد وتتنوع، وهذا يأتي حسب دورها ووظيفتها فالشخصية الرئيسية تعتبر محور العمل والقوى الدافعة للأحداث، أما الشخصيات الثانوية فهي المساعد الأول للرئيسية وهي أيضاً من أساسيات الحكيم بخصوص المعارضة فهني تعارض وتعادي مجرى الأحداث وسبب المواجهة بين الشخصيات الرئيسية والمعارضة تتجلى أقطاب الصراع في الأحداث، تتجلى الأفكار المعارضة الأهداف والمعوقات هذا يعمل على تطور حبكة

⁸ شربيط أحمد شربيط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص46

⁹ عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى التحليل الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط3، 2000، ص135.

الرواية وعنصر التشويق الذي يجذب المتلقي إليها، وغير هذا من الشخصيات فهي مكملة ومتممة للرواية.